مسيرة عطاء وإنسانية على ضفاف الدبلوماسية

المغفور له بإذن الله :الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح في سطور

ولد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح في 1929/6/16 وتوفي في 2020/9/29. هو الابن الرابع للشيخ أحمد الجابر الصباح من منيرة العثمان السعيد العيار. كان الخط الفاصل بين هذين التاريخين هو هويته. عاش الشيخ صباح الأحمد في كنف أخواله "آل العيار". انتقل من الجهراء إلى قصر السيف وهو في الرابعة من العمر ليتربى مع أخيه الشيخ جابر الأحمد الصباح على يد الشيخة بيبي السالم الصباح. درس في المدرسة المباركية برفقة أخيه الشيخ جابر الأحمد الصباح وسعد العبدالله وجابر العلي وسالم العلي. ثم قام والده أحمد الجابر الصباح بإرساله إلى بعض الدول للدراسة واكتساب الخبرة والمهارات السياسية في دول أوروبا وآسيا. ساهمت تلك الفترة في صقل مهاراته السياسة ومده بتجارب وأساليب الحكم خصوصا أنه كان ابنا لحاكم استمر لثلاثة عقود على رأس الحكم.

في 19 يوليو 1954، كانت البداية الحقيقية للشيخ صباح الأحمد في الدخول للمجال السياسي والعمل في الشأن العام. إذ عينه أمير الكويت آنذاك، الشيخ عبدالله الصباح، عضواً في "اللجنة التنفيذية العليا" وهي بمثابة مجلس الوزراء القائم حالياً، وقد عُهِد إليها بمهمة تنظيم دوائر الدولة ووضع خطط عملها ومتابعة التخطيط فيها. وفي عام 1955، تم تعيينه رئيساً لدائرة الشؤون الاجتماعية والعمل حيث كان يبدي اهتماماً بالمشاريع الاجتماعية ويضع القواعد التنظيمية من أجل إفساح فرص العمل الملائم للمواطنين. قام باستحداث مراكز التدريب الفني والمهني للفتيات ورعاية الطفولة والأمومة والمسنين وذوي الهمم وتشجيع قيام الجمعيات النسائية ورعاية الشباب وإعداده. كما أولى اهتماماً بالمسرح وقام بإنشاء الأندية الرياضية وإنشاء أول مركز لرعاية الفنون الشعبية في الكويت. وفي عام 1956 عُيّن عضوًا في الهيئة التنظيمية للمجلس الأعلى، وهو المجلس الذي كان يساعد أمير الكويت في إدارة شؤون الحكم في البلاد. وفي عام 1957، أضيفت إلى مهامه رئاسة "دائرة المطبوعات والنشر". خلال رئاسته إدارة المطبوعات والنشر، تم إصدار الجريدة الرسمية للكويت تحت اسم "الكويت اليوم"، وتم إنشاء مطبعة الحكومة لتلبية احتياجات الحكومة من المطبوعات. تم إصدار قانون المطبوعات والنشر الذي شجع الصحافة السياسية وكفل حريتها في حدود القانون. وقد برز خلال تلك الفترة اهتمام صباح بإحياء التراث العربي وإعادة نشر الكتب والمخطوطات العربية القديمة. وخلال أقل من عامين من رئاسته لدائرة المطبوعات والنشر تم استصدار أشهر مطبوعة عربية ثقافية في الوطن العربي، استطاعت أن تجمع العرب حولها من البحر إلى البحر، والتي أطلق عليها مسمى مجلة العربي. ويحسب لصباح الأحمد

في بواكير عمله السياسي أنه ربط بلاده بنشر الثقافة الكويتية في محيطها العربي إضافة إلى ربط الوعي المجتمعي الكويتي بالوعي العربي، وظهر هذا جليّا في التوجّهات التي كانت تحكم مطبوعات الكويت، وكذلك ثبت هذا التوجّه بعد أن تولّى صباح الأحمد وزارة الإعلام في أوّل وزارة تتشكّل في تاريخ الكويت. حيث كان الشيخ الراحل أول وزير إعلام. ومن الجدير بالذكر أنه عندما عهدت إليه وزارة الإعلام من جديد بالإضافة إلى وزارة الخارجية، اهتم بإرسال محطة تليفزيونية في دبي فيما عرض حينها في تلفزيون الكويت من دبي . علاوة على ما ذكر، كان الشيخ صباح الأحمد ثاني وزير خارجية في تاريخ الكويت. ترأس وزارة الشؤون الخارجية للكويت طيلة أربعة قعود من الزمن. ويعود له الفضل في توجيه السياسة الخارجية للدولة والتعامل مع الغزو العراقي في الكويت في عام 1990. بعد استقلال دولة الكويت عن المملكة المتحدة في 19 يونيو 1961، أصدر أمير الكويت الشيخ عبدالله السالم الصباح مرسومًا أميريًا في 26 أغسطس 1961 بإنشاء "المجلس الأعلى" الذي كان بمثابة مجلس وزاري يدير أعمال الحكومة، ونص المرسوم على أن يشترك في عضوية ذلك المجلس جميع رؤساء الدوائر الحكومية (وهم ثمانية أعضاء من الأسرة الحاكمة)، حيث أصبح الشيخ صباح الأحمد عضوًا في ذلك المجلس بحكم توليه رئاسة دائرتي "المطبوعات والنشر" و"الشؤون الاجتماعية والعمل". وكان من مهام "المجلس الأعلى" وضع قانون لانتخاب أوّل "مجلس تأسيسي" في الكويت مهمته كتابة دستور للدولة. وعندما أجريت انتخابات المجلس التأسيسي الكويتي في 30 ديسمبر 1962، تم في 17 يناير 1962 تشكيل أول مجلس وزراء برئاسة أمير الكويت الشيخ عبد الله السالم الصباح. إثر ذلك حوّلت الدوائر الحكومية في كويت ما قبل الاستقلال إلى وزارات، حيث تحوّلت "دائرة المطبوعات والنشر" إلى "وزارة الإرشاد والأنباء" وعُيّن الشيخ صباح الأحمد وزيرًا لها. وهو أول وزير إعلام في تاريخ دولة الكويت حيث قاد عملية دعم وتطوير وسائل الإعلام في الكويت، وبناء على ذلك ضمّت الوزارة دار الإذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح وقطاع السياحة. وعندما انتهى "المجلس التأسيسي" من وضع الدستور وعقب التصديق عليه، تم انتخاب أعضاء الفصل التشريعي الأوّل لمجلس الأمة في 28 يناير 1963، إثر ذلك تم تعيين الشيخ صباح السالم الصباح رئيسًا لمجلس الوزراء بالإضافة إلى منصبه كولي للعهد وذلك في 2 فبراير 1963 وبدوره قام بتعيين الشيخ صباح الأحمد خلفاً له في وزارة الشؤون الخارجية كثاني وزير خارجية في تاريخ دولة الكويت.

ويعد الشيخ صباح الأحمد المهندس الاستراتيجي للدبلوماسية الكويتية العربية والباني الحقيقي لها. فقد جاء الشيخ صباح للوزارة مُرَكزًا على الانفتاح والتضامن والدمج والتناغم مع المصالح العربية ليستمر إثرها وزيرًا للخارجية طيلة أربعة عقود من الزمن. ومن خلال توليه وزارة الخارجية، أصبح الشيخ صباح الأحمد رئيسًا للجنة الدائمة لمساعدات الخليج العربي في عام 1963. حيث قام بإعطاء المنح دون مقابل للدول الخليجية

والعربية، وقد امتد عمل اللجنة عندما تولى رئاسته إلى اليمن الجنوبي واليمن الشمالي وسلطنة عمان وجنوب السودان. أسّس صباح الأحمد السياسة الخارجية للكويت على أسس ومبادئ وثوابت رئيسية في مقدمتها: التوازن الاستراتيجي، والحياد الإيجابي، والدفاع عن الثوابت القومية، والابتعاد عن الأحلاف العسكرية، إدراكا منه لحساسية وضع الكويت ودقة مصالحها الاستراتيجية العليا التي تفرض عليها انتهاج سياسة خارجية متوازنة ومنفتحة على جميع دول العالم بما يضمن الحفاظ على أمن واستقرار الكويت، وصيانة استقلالها وسلامتها الإقليمية، بعيدًا عن التنازعات والتجاذبات الأيدلوجية أو العسكرية التي كانت تحكم العالم إبان الحرب الباردة. ونظرًا لهذه السياسة المتوازنة، استطاعت الحكومة الكويتية بعد الغزو العراقي للكويت في 2 أغسطس 1990 أن تكسب تعاطف أغلب دول العالم وأن تجعلها تقف مع الشرعية الكويتية بقيادة الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح ضد الغزو العراقي. ومما يحسب له أن الدبلوماسية الكويتية استطاعت كسب الاتحاد السوفيتي في إدانة الغزو العراقي ودعم تحرير الكويت، رغم أن السوفييت كانوا حلفاء للعراق وتجمعهم اتفاقيات تعاون وصداقة مع النظام العراقي.

في 14 فبراير 2001 أسندت إلى الشيخ صباح مهمة تشكيل الحكومة الكويتية بالنيابة عن ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء آنذاك الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح بسبب ظروفه الصحية. وبعد انتخابات مجلس الأمة في العام 2003 قدّمت الحكومة الكويتية استقالتها بتاريخ 6 يوليو 2003، وقُبلت بأمر أميري في اليوم ذاته. وفي تاريخ 13 يوليو 2003، تم تسمية الشيخ صباح رئيسا لمجلس الوزراء، حيث صدر مرسوم أميري بتكليفه تشكيل الحكومة الحادية والعشرين في تاريخ الكويت، وهي المرة الأولى التي يُسمّى فيها لرئاسة مجلس الوزراء. وقد جاء ترؤس الشيخ صباح الأحمد الوزارة في 13 يوليو 2003، نتيجة مرض الشيخ سعد العبدالله الذي اعتذر عن تشكيل الوزارة آنذاك، ما استدعى وللمرة الأولى في تاريخ دولة الكويت الفصل بين منصبي ولاية العهد ورئاسة الحكومة وقد استمر الفصل بين منصب ولاية العهد ومنصب رئاسة الوزراء قائماً إلى يومنا الحالي. ضمّت حكومة صباح آنذاك، خمسة عشرة وزيراً، بينهم نائب واحد في مجلس الأمة، وأدت الوزارة اليمين الدستورية أمام أمير البلاد جابر الأحمد الصباح في اليوم التالي. وقد أجرى الشيخ صباح أكثر من تعديل وزاري على حكومته، وفي التعديل الأخير تم توزير أوّل امرأة في تاريخ دولة الكويت. وقد شغل الأمير الراحل الشيخ صباح الأحمد منصب رئاسة مجلس الوزراء حتى 30 يناير 2006، حيث تقدّمت حكومته باستقالتها في 30 يناير من العام نفسه، بعد يوم واحد من اختياره أميراً لدولة الكويت. غير أن حكومته استمرت في أداء مهامها حتى 8 فبراير 2006.

تولي الشيخ صباح الأحمد مسند دولة الكويت في 2006/1/29 خلفاً للشيخ الراحل سعد العبدالله الصباح. وبعد أن انتقلت السلطات الأميرية إليه بصفته رئيس مجلس الوزراء، قام مجلس الوزراء وتزكيته أميراً للبلاد

في 2006/1/24. بايعه أعضاء مجلس الأمة بالإجماع في جلسة خاصة انعقدت في 2006/1/29. وهو الأمير الثالث الذي أدى اليمين الدستورية أمام مجلس الأمة في تاريخ الكويت.

إبان رئاسته لمجلس الوزراء، حصلت المرأة الكويتية على حقوقها السياسية تنفيذاً لتوجيهات الأمير الشيخ جابر الأحمد الصباح عقب إقرار حقوقها السياسية في مايو 2005 ترشيحاً وانتخاباً. حيث وزرت أول امرأة في الحكومة خلال رئاسته. تلى ذلك مشاركة المرأة في العملية الانتخابية في أول انتخابات نيابية بعد توليه مسند الإمارة. ومن ثم توجت سياسته الإصلاحية بدخول المرأة لأول مرة عضواً في مجلس الأمة في ثالث انتخابات نيابية تُجرى في عهده. بالإضافة لدخولها للسلك العسكري وتنصيبها قاضية في السلك القضائي.

تميز الشيخ صباح بإنسانيته وديبلوماسيته، فكرمته الأمم المتحدة في 2014/9/9 بلقب قائد العمل الإنساني وسميت الكويت مركزاً للعمل الإنساني تقديراً من المنظمة الدولية للجهود التي بذلها صاحب السمو وبذلتها الكويت خدمة للإنسانية. لُقِب بشيخ الديبلوماسيين العرب والعالم وعميد الديبلوماسية العربية والكويتية. فقد كان أول من رفع علم الكويت فوق مبنى هيئة الأمم المتحدة بعد قبولها الانضمام إليها في 1963/5/14. اتبع سياسة إصلاحية ترسخت في الحياة الديموقراطية فزادت الحريات الإعلامية وزادت مساحات النقد وانتشرت الصحف والمنابر الإعلامية.

وأثناء ولايته للشؤون الخارجية، برز دور الكويت كوسيط حيادي كأهم خصائص سياسة الكويت الخارجية. تلخيصها بأنه قابل الحرب بالسلام وقابل التعصب بالمحبة وقابل كل سيء باللطف. أسس السياسة الخارجية للكويت على أسس ومبادئ وثوابت أساسية في مقدمتها التوازن الاستراتيجي والحياة الإيجابية والدفاع عن الثوابت القومية والابتعاد عن الأهداف العسكرية بما يضمن الحفاظ على أمن الكويت وصيانة استقلالها وسلامتها الإقليمية بعيدا عن التنازعات والتجاذبات الأيدولوجية أو العسكرية التي كانت تحكم العالم إبان الحرب الباردة.

اختيرت الكويت في 2014/9/9 مركزاً للعمل الإنساني وسمي الشيخ صباح الأحمد قائداً للعمل الإنساني وذلك في حفل أقامته منظمة الأمم المتحدة. حيث أن المبادرات التي قامت بها دولة الكويت دفعت المجتمع الدولي لجمع المزيد من المساعدات بفضل جهود الأمير الراحل.

شهدت الكويت أثناء حكم الشيخ صباح الأحمد عدة مشاريع تنموية في عدة مجالات تهدف لتحويل الكويت إلى مركز مالي وتجاري عالمي وتسريع عجلة الاقتصاد وتعزيز دور القطاع الخاص في دعم التنمية الاقتصادية. وقد تم إنجاز العديد من المشاريع العملاقة التي ترتبط بمختلف القطاعات الخدمية في البلاد ومن أبرزها:

•مدينة صباح الأحمد البحرية نسبة إليه (تعد أول وأكبر مشروع في الكويت يشيد بالكامل من قبل القطاع الخاص).

•مستشفى جابر الأحمد (يعد الأكبر في الشرق الأوسط وسادس أكبر مستشفى في العالم).

•مستشفى الجهراء الجديد (يعد بين أكبر المستشفيات في الشرق الأوسط).

•ميناء مبارك الكبير (سيحقق رغبة القيادة السياسية بتحويل الكويت إلى مركز تجاري ومالي عالمي).

•جسر الشيخ جابر الاحمد الصباح (جسر بحري بطول يتجاوز 37 كم، يربط مدينة الكويت بمدينة الصبية الجديدة).

•مدينة الحرير (مدينة قيد الإنشاء).

•مشروع الوقود البيئي (يهدف لوضع الكويت في مكانة متقدمة من خلال توفير أحدث المصافي العالمية في صناعة تكرير البترول).

•مشروع مبنى الركاب الجديد في مطار الكويت الدولي (يهدف لجعل الكويت محورا اقليميا رئيسيا للشرق الأوسط).

•استاد جابر الأحمد الدولي (يتسّع لستين ألف متفرج، ويعد من أكبر الملاعب في الكويت والسابع عربيًا والـ 25 عالميا من حيث السعة).

•مدينة جنوب المطلاع (قيد الإنشاء)، أكبر مشروع إسكاني في تاريخ الكويت، تضم نحو 28363 قسيمة سكنية).

•مركز صباح الأحمد للكلى والمسالك (أحد أبرز المراكز الصحية المتخصصة).

•مشروع حديقة الشهيد بمنطقة شرق (حديقة الحزام الأخضر سابقا)، وقد افتتحها الأمير بمعية ولي العهد، حيث أزاح الستار عن نصب الشهيد الذي يجسد ما قدم شهداء الكويت من تضحيات وبطولات.

•مركز الشيخ جابر الأحمد الثقافي (دار الأوبرا في الكويت).

•مركز الشيخ عبد الله السالم الثقافي (يعد من أكبر مناطق العرض المتحفي في الوطن العربي والعالم).

•مشروع تطوير طريق الجهراء (يعد أحد أهم وأضخم المشاريع ضمن خطة تطوير البنية التحتية في الكويت).

على الصعيد الاجتماعي، تزوج الشيخ صباح الأحمد الصباح في ريعان شبابه من الشيخة فتوح السلمان الحمود الصباح في أربعينيات القرن العشرين وهي ابنة عم والده الشيخ أحمد الجابر الصباح وأنجب منها الشيخ ناصر والشيخ أحمد والشيخ حمد والشيخة سلوى. توفي الشيخ حمد صغيراً إثر حادث سير في العام 1969. وتوفيت الشيخة سلوى في 2002 بعد إصابتها بسرطان الثدي. حيث وافتها المنية قبل الغزو العراقي على الكويت. ولم يتزوج بعدها.

وفي 18 سبتمبر 2020، قال وزير شؤون الديوان الأميري في الكويت الشيخ علي الجراح الصباح أن الرئيس الأميركي دونالد ترامب منح وسام الاستحقاق العسكري برتبة قائد أعلى لأمير الكويت الشيخ صباح الأحمد الصباح، خلال مراسم أقيمت في البيت الأبيض. حيث كان الشيخ صباح يتلقى العلاج في مستشفى بالولايات المتحدة الأمريكية، والتي وصلها في 23 يوليو، بعد تعرضه لعارض صحي. إلا أن حالته ازدادت سوءاً وأُعلِن في 29 سبتمبر من عام 2020 عن وفاة الأمير صباح الأحمد في الولايات المتحدة عن عمر ناهز 91 عامًا، حيث نعاه الديوان الأميري في الكويت في بيان تلاه الشيخ علي الجراح الصباح. ووصلت جثمانه لأرض الكويت في الـ 30 من سبتمبر 2020 حيث تمت عملية الدفن وسط إجراءات احترازية.

فرحمه الله رحمةً واسعة وأسكنه فسيح جنانه